Coptology

عيد الثيئوفانيا - الظهور الإلهي المسمى شعبياً "عيد الغطاس"

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

www.coptology.org

كل عام وأنتم بخير.

الرب يسوع جاء واعتمد في الأردن، ولما اعتمد وخرج من المـــاء، انشـــقت السماء ونزل روح الرب على شكل حمامة واستقر عليه. سبق ذلك المشـــهد الجليـــل شهادة يوحنا المعمدان: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العـــالم" (يوحنـــا ١: ١٩). ورفع الخطية ليس حملها، بل إزالتها من العلاقة الإلهية الإنسانية، مثلمـــا أزال حَمَـــلُ الفصحِ الموتَ في أرض العبودية في ليلة العبور. كان يوحنا يعمِّد في "بيت عـــبرة"، في عبر الأردن (يو ١: ٢٨)، في بيت العبور، العبور الكبير الذي نقـــل العلاقـــة الإلهيـــة الإنسانية من الشريعة إلى الروح القدس، فقد جاء الروح القدس و"استقر على يسوع" (يوحنا ١: ٣١)، ولم يتركه، بل مسحه: "يسوع الذي من الناصرة كيف مســـحه الله بالروح القدس والقوة" (أع ١٠: ٣٨)، فقد جاء الروح القدس لكي يعطي بذاته القوة عندما يسكن، ولذلك يقول الرب نفسه: "ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فلا قوة بلا حلول للروح علينا.

الظهور الإلهي هو ظهور مباشر للثالوث، واستعلان الله في **عهـــده الجديـــد**، ذلك العهد **الذي يبدأ بالمسيح يسوع، وينتهي بالمسيح يسوع، فهو البـــدء وهـــو النهاية، أي غاية العهد.**

ظهر الثالوث القدوس بنداء الآب الذي لم يُعلن عن نفسه، بل شهد للابـــن؛ لأن الابنَ فيه (يوحنا ١٠: ٣٠)، وهو أي الابن، جاء لكي يعلن الآب (يوحنـــا ١٧: ١-٣)، لكي يُظهر اسم الآب، أي أبوة الله؛ لأن اسم "يهوه" قد استُعلِن بموســـى في العهد الأول أو العهد القديم، أما الآن، فهو يقول لنا، أي ربنا: "أنا أظهـــرت اسمـــك

للناس" (يوحنا ١٧: ٦)؛ ولذلك علَّمنا أن ننادي الله: "أبانا الذي في السموات"، وظل الآبُ خفياً لا يُدرَك مُعلنٌ بشهادة الابن؛ لأنها هي "الإنجيل" بشارة الحياة، ولأنها هي "بشارة" التبني ونعمة الولادة من الله (يوحنا ١: ١٢-١٣)، ولذلك أُعلِن الابنُ لا بكلامٍ، بل بالروح القدس.

وكان مجيء الروح في هيئة حمامة، كما تقول التسبحة: "مثل حمامة نوح". فقد جاء الروح القدس بالوداعة والسلام، وانتهى عهد القضاة، عهد شمشون وعهد الملوك الذين مسحوا بالروح لقيادات عسكرية مؤقتة. أمَّا الآن فقد استقر الروح على يسوع ومِن يسوع أخذنا نحن: "من ملئه نحن جميعاً أخذنا" (يوحنا ١: ١٦). ولما قَهَرَ الشيطان ورجع يسوع من برية الأردن ممتلئاً من الروح القدس (لوقا ٤: ١)، أخذنا نحن ذلك الامتلاء الذي ظهر واضحاً في يوم الخمسين: "وامتلأ الجميع من الروح القدس" (أع ٢: ٤). وبعد سنوات من يوم العنصرة، يكتب بولس إلى كنيسة الأمم: "لكن الذي يثبِّتنا معكم في المسيح، وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢كو ١: ٢٢).

لقد ظهر الثالوث في بداية التدبير، أي خطة الله للخلاص؛ لأن أساس كل شيء عندنا هو الثالوث. الآب هو المصدر، والابن هو الاستعلان، والروح هو الهبة أو العطية من المصدر. من الآب نأخذ استعلان البنوة، وهي شركتنا في بنوة الابن، التي توهَب بالروح القدس، ولذلك يقول رسول الأمم: "بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب. إذاً لستُ بعد عبداً، بل ابناً وإن كنت ابناً فوارثٌ لله بالمسيح" (غلا ٤: ٦-٧).

لقد انتهى عهد العبودية للطبيعة. فليست أمام الله طبائع، بل أشخاص. وقد جاء تحرير الإنسان من سلطان الطبيعة، بالتبني؛ لأن الإنسان عبدُ الطبيعة هو آدم الأول الذي "ملكت (عليه) الخطية بالموت" (رو ٥: ٢١)، أي مُلك الطبيعة التي وقعت تحت سطوة الحكم: "موتاً تموت"، وتحت سيطرة الطبيعة: "لم أعرف الخطية إلا بالشريعة"

(رو ٧: ٧)، ولذلك لَّما جاءت الشريعة؛ عاشت الخطية بالشهوة، ومات الإنسان (رو ٧: ٩). وهنا يجب أن ننتبه إلى قوة تعبير رسول الأمم:

- بدون الشريعة الخطية ميتة (رو ٧: ٨).

- لأنني مت بالشريعة للشريعة لأحيا لله (غلا ٢: ١٩).

فالرسول يدقُ باب تحرير الإنسان بقوة النعمة، وبقوة تحرير الإنسان من سلطان الشريعة؛ لأن المسيح هو الذي رفع هذه الشريعة من الوسط (كولو ٢: ١٤)، فقد مزق هذا الحكم وأنهى فاعليته تماماً، وهو ما عبَّر عنه بولس بـ"التبرير المجاني" (رو ١: ٢٤). ومجانية التبرير تعني أنه عطيةٌ، ولذلك لا يجب أن نظن أن العطية قد سبق الرب ودفع ثمناً لها؛ لأنها بذلك تفقد صفة المجانية: "متبررين مجاناً بنعمة (الآب والابن والروح القدس) بالفداء الذي أعلنه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السابقة (لا دفع ثمنها) بإمهال الله" (رو ١: ٢٤-٢٥). وإذا كان رسول الأمم يتساءل: هل نبطل الشريعة بالإيمان؟ (رو ٣: ٣١)، فهو ذاته يجيب: أبداً، الشريعة تؤكد النعمة؛ لأن الكل أمام الشريعة حُكِمَ عليه بالموت، والكل أمام النعمة والإيمان نال الحرية من حكم الموت.

الأردن في كل كنيسة:

حسب التسليم الكنسي "مغطس المعمودية" هو أردن كل كنيسة، ليس لأن ما حدث يوزَّع أو يتكرر، بل لأن ما حدث في معمودية الرب صار أساس المعمودية التي تتم باسم الثالوث حسب وصية الرب نفسه (متى ٢٨: ١٩)، ولأن ما يضعه الرب كأساس هو **أساس حياة تمتد وتجمع**؛ لأنه جاء لكي "يجذب إليه الجميع" (يوحنا ١٢: ٣٢)، ولكي "يجمع إلى واحد" أبناء الله الذين أحياناً -حسب عقل وحس آدم القديم- نحسبهم بالعدد، ولكن الآن الكلَّ واحدٌ في وحدانية المحبة، وفي وحدانية الله نفسه، فهو ثالوث حسب حس آدم الأول بالأعداد، ولكن حسب حس واستعلان نعمة العهد

الجديد، الواحد ثلاثة والثلاثة واحد؛ لأنه عهد الاجتماع بالرب الذي يوحِّدنا بـــه في الآب (يوحنا ١٧: ٢١-٢٢).

جاء الرب لكي يوزع علينا نحن "المتفرقين" هذه الوحدة؛ لنكون حقاً فيـــه، ولكي نعرف أن عهد الحياة المستعلَن فيه هو عهد الاتحاد، وهو العهد الـــذي قـــدَّس الإنسانية، لا بالصلاة بطقوس الشريعة، بل بالاتحاد الأقنومي، أي اتحاد الكلي القداسة بالإنسانية، لكي نصير مقدَّسين فيه، ولكي لا نُمسَح مثل هيكل سليمان، بل نمســـح مثل هيكل يسوع، أي إنسانيته، ونشترك في مسحته لأننا كما يقول الإنجيلي: "المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم" (١ يوحنا ٢: ٢٧).

وعندما نحمل الماء المقدَّس إلى منازلنا، فنحن نحمل ذات الماء الذي غطس فيه يسوع، والذي به اعتمدنا. كان أبي الروحي يشرب الماء ثلاث بلعـــات باســـم الآب والابن والروح القدس؛ لأنه بالثالوث نال التبني، وبمياه الخلق الجديد صار له الحضـــور الأبدي في الثالوث الذي كان يدخل إلى خدمته كل يوم.

***

فيامَن أظهرت عند الأردن تدبير التبني،

فتجلَّت الطبيعة الإنسانية بمسحة الروح القدس،

وغرستنا في بحر المحبة الإلهية،

ثبِّتنا في الإيمان المستعلَن فيك وبك؛

لكي نصير ونظل مسيحيين أرثوذكسيين حتى النفس الأخير.

د. جورج حبيب بباوي

ملحـــــــــــــق

معمودية المسيح (١)

للقديس غريغوريوس النزينزي:

مع المسيح في المعمودية وفي التجربة

■○✞○■

[إن كان المجرِّب عدو النور يعتدي عليك بعد المعمودية، وهو يعتدي فعلاً كما اعتدى أيضاً على إلهي الكلمة المستتر في الجسد، فلك ما تغلبه به. لا تخف المعركة. أَشهر ضده الماء. أشهر ضده الروح الذي به تستطيع أيضاً أن تطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة (أف ٦:١٦). وإن كان يحاربك بالطمع ويريك جميع الممالك في لحظة وفي طرفة عين كأنها له، ويطالبك بالسجود له؛ احتقره كمثل فقير لا يملك شيئاً، وقُلْ له وأنت واثق بالختم (الروح القدس) الذي فيك: "أنا أيضاً صورة الله. فقد لبست المسيح" (غل ٣:٢٧)، وتحوَّلتُ إلى شكل المسيح بالمعمودية، فاسجد أنتَ لي (أي للمسيح الذي فيَّ)". وأنا أعلم يقيناً أنه سيفرُّ منهزماً ومخزياً من أقوالك. فكما فرَّ أمام المسيح النور الأول، هكذا يفرُّ أمام الذين استناروا (اعتمدوا) بالمسيح...

فلنعتمد، إذن، لكي نغلب!] **عظة ٤٠:١٠و١١ على المعمودية**

معمودية المسيح (٢)

للقديس كيرلس الأورشليمي

معمودية المسيح ومعموديتنا

■❍✞❍■

[لَمَّا اعتمدتم للمسيح ولبستم المسيح، صرتم ''مشابهين صورة ابن الله'' (رو٨: ٢٩)، لأن الله إذ سبق وعيَّننا للتبنِّي، جعلنا ''مشابهين صورة جسد مجد المسيح'' (في٣: ٢١). وأنتم صرتم ''شركاء المسيح'' (عب ٣:١٤)، ولذلك دُعيتُم بحق ''مسحاء χριστοί''...، فإن الله يقول عنكم: «لا تمسوا مسحائي.» (مز ١٠٤:١٥). لقد صرتم مسحاء لأنكم قبلتم رسم الروح القدس، وكل شيء قد تم فيكم على صورة ما حدث للمسيح، لأنكم صرتم صوراً للمسيح... أما هو فلما اغتسل في نهر الأردن، ووهب المياه رائحةَ لاهوته، صعد منها وظهر الروح القدس حالاًّ عليه بجوهره، إذ أن المثيل يستريح على المثيل. وأنتم أيضاً بشبه ذلك لما صعدتم من جرن الماء المقدس قد نلتم مسحة هي صورة لتلك التي مُسِح بها المسيح، وهذا هو الروح القدس...] **العظة الثالثة عن الأسرار**

معمودية المسيح (٣)

للقديس أثناسيوس الرسولي:

حلول الروح القدس على الرب في الأردن كان حلولاً للروح علينا

■○✞○■

[الرب نفسه يقول بفمه في إنجيل يوحنا: «من أجلهم أقدِّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق» (يو ١٧: ١٩).

كيف تمّ ذلك؟ وكيف يقول ذلك إلا بما معناه: ''أنا كلمتك أيها الآب، أُعطي الروح القدس لذاتي الصائر إنساناً، وأُقدِّس به ذاتي الصائر إنساناً، حتى يكونوا جميعاً مقدَّسين فيَّ أنا الحق (لأني أنا كلمتك هو الحق)'' فإن كان من أجلنا يقدِّس ذاته، ويفعل ذلك بعد أن صار إنساناً، فمن الواضح تماماً أن حلول الروح القدس عليه في الأردن، كان حلولاً للروح علينا نحن، بسبب أنه كان لابساً جسدنا نحن، فلم يكن ذلك من أجل ارتقاء الكلمة ذاته، بل بالحري من أجل تقديسنا نحن، حتى نشترك في مسحته ويُقال عنا: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم؟» (١كو٣:١٦)؟ فلما اغتسل الرب في الأردن بصفته إنساناً، كنا نحن المغتسلين فيه وبواسطته، ولما قَبِلَ الروح القدس، كنا نحن الذين نقبله بواسطته].

ضد الأريوسيين ١: ٤٦ و٤٧

معمودية المسيح (٤)

للقديس كيرلس الكبير:

قبول المسيح الروح القدس من أجلنا

■❍✞❍■

[لما صار كلمة الله إنساناً، اقتبل الروح القدس من الآب كواحدٍ منَّا، ليس كمَن يقبل شيئاً لذاته، إذ أنه هو نفسه الذي يُوزِّع الروح؛ بل لكي بقبوله الروح كإنسان يحفظه لطبيعتنا، ويجعل النعمة التي فارقتنا تتأصَّل من جديد فينا... إذن، فهو قَبِلَ الروح لحسابنا نحن بواسطة نفسه لكي يستعيد لطبيعتنا ذلك الخير الأصلي ولذلك أيضاً قيل عنه إنه افتقر لأجلنا. فمع كونه غنياً كإله ولا يعوزه شيء من الخيرات، جعل نفسه إنساناً مفتقراً لكل شيء... فكما أنه مع كونه الحياة بطبعه قد مات بالجسد لأجلنا لكي يغلب الموت عنا ويُقيم طبيعتنا كلها معه -لأننا جميعاً كنا فيه لكونه قد صار إنساناً- هكذا أيضاً هو يقبل الروح لأجلنا لكي يُقدِّس به طبيعتنا كلها. لأنه لم يأتِ لكونه محتاجاً شيئاً لنفسه، بل قد جاء ليصير لنا جميعاً باباً وبدايةً وطريقاً للخيرات السمائية!] **شرح إنجيل يوحنا ١: ٣٢**

معمودية المسيح (٥)

للقديس كيرلس الكبير:

ارتياح الروح القدس في الإنسان الجديد

■○☩○■

[«**ويرتاح** Ἀναπαύσεται **عليه روح الله.**» (إش ١١:١). لقد سبق أن مُنح الروح في القديم لباكورة جنسنا آدم، ولكن هذا صار متهاوناً من جهة حفظ الوصية المعطاة له، واستهتر بما أُمر به، فسقط في الخطية، وبالتالي لم يجد الروح راحة ἀνάπαυσιν بين الناس. «لأن الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس مَنْ يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد.» (رو ٣:١٢). ثم إن الكلمة ابن الله الوحيد صار إنساناً، ولكن دون أن يتحوَّل عن كونه إلهاً. فلما صار مثلنا وهو غير قابل لأن ينساق نحو الخطايا، حينئذ ارتاح الروح القدس في طبيعة الإنسان، فيه هو أولاً بصفته الباكورة الثانية لجنسنا، حتى يرتاح فينا أيضاً، ويثبت في نفوس المؤمنين، محباً للسكنى فيها. وهكذا يشهد يوحنا الإلهي في موضع ما أنه قد رأى الروح نازلاً بألفة من السماء على المسيح. فكما صرنا شركاء في الميراث مع أول جبلتنا في الشرور التي أصابته، هكذا سنصير شركاء أيضاً في الخيرات الحادثة تدبيرياً للباكورة الثانية لجنسنا الذي هو المسيح].**شرح إشعياء ١:١١**

معمودية المسيح (٦)

للقديس كيرلس الكبير:
المسيح أعطانا الثبات في اقتناء الروح القدس

■○☩○■

[إن المسيح لم يقبل الروح لنفسهِ هو بل بالحري لنا نحن فيه، لأن جميع الخيرات إنما بواسطته تتدفَّق فينا نحن أيضاً. فنظراً لأن آدم أبانا الأول لما تحوَّل بالغواية إلى المعصية والخطية، لم يحفظ نعمة الروح، وبذلك فقدت أيضاً الطبيعة كلها فيه عطية الله الصالحة. فكان لابد أن الله الكلمة الذي لا يعرف التغيير يصير إنساناً لكي إذ يقبل العطية بصفته إنساناً يحتفظ بها بدوام لطبيعتنا... فقد صار الابن الوحيد إذن إنساناً مثلنا لكي إذ يستعيد من جديد في نفسهِ أولاً الخيرات الصالحة ويجعل نعمة الروح متأصلة من جديد ومنغرسة فيه، يتمكن بذلك أن يحفظها بثبات وبعدم تغيير لكل طبيعتنا. **وكأن اللوغس الوحيد المولود من الله الآب قد أعارنا عدم تغيير طبيعته الخاصة.** فإن طبيعة الإنسان قد عُرفت في آدم أنها عاجزة عن الثبات ومتحوِّلة بكل سهولة إلى السوء. فكما أنه بتحوُّل الإنسان الأول قد اجتاز فقدان الخيرات الصالحة إلى سائر طبيعتنا، هكذا أيضاً أعتقد أنه بواسطة ذاك الذي لا يعرف التغيير سيعود الثبات في اقتناء العطايا الإلهية إلى سائر جنسنا] **تفسير إنجيل يوحنا ٧: ٣٩**

معمودية المسيح (٧)

للقديس كيرلس الكبير:

هذا هو ابني الحبيب

■○☩○■

[لقد جاء صوت الله الآب قائلاً من نحو المسيح أثناء عماده المقدَّس: «هذا هو ابني الحبيب»، وكأنما بذلك كان يقبل فيه وبواسطته الإنسان الأرضي. فإن ابن الله الوحيد الحق بحسب الطبيعة لما صار مثلنا، قد تعيَّن ابن الله (رو١: ٤)، ليس كأنه ينال ذلك لنفسه هو -إذ أنه في ذاته كان و لم يزل كما قلتُ إلهاً حقاً- بل لكي يوصِّل إلينا هذا المجد. فإنه قد صار لنا باكورةً وبكراً وآدماً ثانياً. لأجل ذلك قيل إن كل شيء فيه يصير جديداً (٢كو٥: ١٧). ونحن إذ قد خلعنا عتق آدم، اغتنينا بالجدَّة التي في المسيح].**تفسير لو٣: ٢١-٢٣**